الباب الثالث

المدرسة المصرية في التفسير و أثر الحوفي فيها

الفصل الأول : تراث التفسير في مصر في القرون السابقة على الحوفي .

الفصل الثاني : تفسير الحوفي مرحلة تطور في التفسير .

الفصل الثالث : السمات المميزة لتلك المدرسة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

تراث التفسير في مصر في القرون السابقة على الحوفي

تبين لنا من خلال دراسة منهج الحوفي في التفسير السمات المميزة لمنهجه والتي من أهمها

١- الميل إلى السهولة والتخفيف.

٢- التوسط والاعتدال.

٣- وحدة الفكر الإسلامي عن طريق الجمع بين الاتجاهات التفسيرية المتعددة الاتجاه اللغوي،والاتجاه النقلي، والاتجاه الفقهي، والاتجاه الكلامي ،والاتجاه الأدبي ومحاولة صهر هذه الاتجاهات في بوتقة واحدة ليخرج لنا منهجا جديدا في صورة متكاملة بل إنه في داخل الاتجاه نفسه جمع بين أقوال أئمته ليوحد بين أقوالهم في صورة متسقة أبرزها لنا في إطار الكل الذي لايتجزأ وهدف من ذلك وحدة الفكر الإسلامي .

تلك السمات التي برزت لنا من خلال منهج الحوفي قي التفسير لم تأت من فراغ بل جاءت مرتبطة بسمات الشخصية المصرية. وقبل الحديث عن تراث التفسير في مصر لابد أن نلقي الضوء علي الشخصية المصرية. لكي نكشف عن مميزات الشخصية المصرية لابد من مراعاة ظروف خاصة أهمها: البيئة المصرية والموقع الجغرافي [١]، أو قل الجانب المادي الماثل، والجانب المعنوي المتجدد، فالجانب المادي الماثل هو العامل البيئي الطبيعي والجانب المعنوي المتجدد هو العامل التاريخي الذي يطبع وحدات زمنية معينة بسمات معينة اجتماعية بعينها، وإذا ما تعرضت الأحياء والأشياء لهذين العاملين فلابد أن يتركا فيهما أثارهما، وهذه الآثار عينها هي ملامح الشخصية[٢].

١ - د.عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي، الأول . ص ٤.
٢ - د. مصطفى الجويني: ملامح الشخصية المصرية ٩٧.

فأما بيئة مصر و تتمثل في الموقع الجغرافي، فإن البلاد المصرية التي تقع بين بحرين و تكتنفها الصحراء من الجانبين و تمثل شريطا عريضا من الخضرة تحيط بها مساحات واسعة باهتة من الجدب، كان لموقعها الجغرافي الممتاز شأن، أي شأن فهو يتصل بالطباع المصرية و يمكن أن يكون نتيجة لالتقاء الثقافات المختلفة و الحضارات المتنوعة في مصر فمصر حين كانت ترحب ترحيبا صادقا بكل هذه الحضارات والثقافات كانت تختار منها ما يحلو في نظرها و يتفق و مزاجها ويرضي تفكيرها وعملية الاختيار في ذاتها لا تحتاج إلى شئ سوى" الذوق "، و كان لابد لمصر أن تعمل ذوقها على هذا النحو، فبدت تتذوق هذه الألوان الثقافية أولا ثم أخذت تهضم ما تريده من هذه الألوان الثقافية. ثانيا ثم عرفت أخيرا كيف تميز بين ما هو خفيف عليها لا تجد مشقة في هضمه و بين ما هو دسم ثقيل تجد عسراً شديدا فيه(١)، تلك كانت السمة الأولى من سمات الشخصية المصرية وهي الميل إلى السهولة،و قد برزت لنا هذه السمة عند الحوفي كما أشرنا إليها، و لما كانت البيئة المصرية تجمع بين الطبيعتين طبيعة وادي النيل بخيره الوفير ونعمه الكثيرة و طبيعة الصحراء القاحلة المجدبة، لهذا توسطت بين نعومة العيش وجذب الحياة، وما كانت طبيعة بيئته تلك لابد أن يأتي نتاجه العلمي بين التوسط و الاعتدال وهذه سمة أخرى من سمات الشخصية المصرية برزت لنا أيضاً عند الحوفي، لقد نشطت بمصر بسبب موقعها الجغرافي حركة المد و الجزر فأخذت وأعطت، ولما كان واجبا عليها أن تقوم بدور الوساطة بين ثقافات العالم، ومع أن الوسيط الثقافي يمكن أن يكون كالوسيط التجاري من الشراهة بحيث يأخذ أكثر مما يعطي، فإن مصر كانت شرهة في الأخذ وشرهة كذلك في العطاء، لم يعرف عنها قط أنها بخلت بعلم أو آثرت نفسها بشيء من العرفان(٢).

١ - د. عبد اللطيف حمزة: نفسه ٨.
٢ - د. عبد اللطيف حمزة: نفسه ٨

فلقد كان على المصريين، وقد وفدت عليهم ثقافات ومعارف أن يتلقوا أولا هذه المعارف يثقفونها ويديرون فكرهم في فهمها ثم ينتخبون منها ما يسيغون ويهضمون ويلفظون مالا يستطيعون تمثيله ثم يضيفون بعد إلى ذلك الزاد الثقافي الذي صقله الموقع الجغرافي واكسبه المران والخبرة متلقياً المعرفة وهاضماً لها ومتخيراً منها ثم مضيفاً إليها وتاركاً عليها طابع سماته وخصائصه(١)

لقد تميزت البيئة المصرية بصفات من أهمها: السهولة والاستقامة والبساطة والوضوح وهذه الصفات ينبغي أن تميز الشخصية المصرية من جميع جوانبها(٢).

أما العامل التاريخي الذي يطبع وحدات زمنية معينة بسمات معينة اجتماعية بعينها فلقد ظهر أيضاً دوره في تكوين الشخصية، فلقد خضعت مصر في أول أمرها خضوعا كاملا للعرب والإسلام ثم لم تلبث بعد ذلك أن اتخذت من هذا الدين نفسه وسيله إلى الاستقلال، ثم وسيلة للسيطرة المعنوية على جميع الأقطار، ثم ظهرت أهمية مصر في الشام و اليمن وبلاد المغرب و غيرها من الأقاليم التي اعترفت لمصر بالزعامتين السياسة و الأدبية وكان من نتائج هذا الاعتراف طغيان الشخصية المصرية وفيضانها، فمنذ القرن الثالث الهجري استطاعت دول جديدة أن تحكم مصر حكما مستقلا عن الخلافة العباسية وتعاقبت هذه الدول على الحكم وأتاحت لمصر فرصه لإظهار شخصيتها في العالم الإسلامي، كما أن الفترة التي أصبحت فيها الزعامة لمصر كانت محيطا لكثيرين من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم و أجناسهم (٣) فأتاح للمصرين الالتقاء بالثقافات والجمع بينها وانصهر كل ذلك في بوتقة الشخصية المصرية و صاغتها في صياغة جديدة ظهرت فيها ملامحها.

١ - د. مصطفى الجويني: السابق ٤١.
٢ - د. عبد اللطيف حمزة: السابق ١٢
٣ - د.عبد اللطيف حمزة :" نفسه ١٨- ٢١.

علي أن ما يهمنا هو الشخصية المصرية الإسلامية و سماتها المميزة، أو قل الملامح المميزة للشخصية المصرية منذ دخول الإسلام مصر سنة ٢٠ هـ إلى عصر الحوفي وهل انصهرت الشخصية المصرية في بوتقة فانطمست معالمها أم تميزت ملامحها؟ على إننا سوف نكشف عن جانب واحد هو جانب التفسير.

لقد كانت السمات المميزة للشخصية المصرية في التفسير في القرنين الأولين للهجرة غامضة باهتة اللون وذلك لحداثة عهدها بالإسلام، ولتبعيتها المباشرة للخلافة (كانت تابعة لعمر بن الخطاب في المدينة، ولبني أمية في دمشق و لبني العباس في بغداد ثم بدأت مصر في الظهور في مقابل بغداد و كذلك قرطبة)، وقد أتى على كل منهما يحشدون قواهم لمحاكاة العلماء في بغداد، ومن ثم أصبح من العسير على الباحثين أن يتعرفوا الخصائص المحلية أو يكشفوا عن الشخصية الإقليمية لكل من مصر والأندلس(١).

وقلنا أنه لم تتضح سمات الشخصية المصرية في التفسير في القرنين الأولين للهجرة وحددنا هذه الفترة وأطلقنا عليها مرحلة الإعداد والتكوين. وتشمل المرحلة الأولى والثانية:

المرحلة الأولى والثانية: مرحلة الإعداد والتكوين:.

وفي هذه المرحلة دخل القراء مصر مع الفتح الإسلامي، و انصرفوا إلى إقراء الناس القرآن وتفسير بعض آياته. فلقد ذكرت الروايات أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي (ت ٤٠ هـ) هو أول من فعل هذا، بل لقد فعله بتكليف رسمي(٢).

ومن المعروف أن ابن ملجم قد تلقى القراءة عن الصحابي معاذ بن جبل (ت ١٨هـ)(٣)، فلابد أن يكون ابن ملجم قد أقرأ المصريين بقراءة أستاذة معاذ(٤) وعلى ذلك تكون قراءة معاذ قد وصلت إلى مصر عن طريق تلميذه ابن ملجم فلما كلف ابن ملجم

١ - د. عبد اللطيف حمزة :" نفسه ١٨.

٢ - السمعاني: الأنساب ص ١٠٤أ، و راجع د. عبد الله خورشيد: القرآن و علومه في مصر ١٥٢: و لقد ذكر السيوطي خلاف ذلك يقول: أن الصحابي عبيد بن معمر المعافري، الصحابي الذي شهد الفتح هو أول من أقرأ أو قرأ القرآن بمصر " حسن المحاضرة ٥٢/١."

٣ - السمعاني: الأنساب ص ١٠٤أ، و راجع د. عبد الله خورشيد: نفسه ١٥٢

٤ - د. عبد الله خورشيد: نفسه ١٥٢.

بمغادرة مصر بقيت قراءة معاذ في مصر علي يدي تلميذ آخر له هو التابعي العابد والإمام المجتهد أبو تميم الجيشاني (ت ٧٧ هـ) الذي قرأ القرآن عليه في اليمن كذلك[١].

ولقد أسهم عقبة ابن عامر (ت ٥٨ هـ) في تعليم الناس في مصر قراءة القرآن وتفسير بعض الآيات ولقد تتلمذ عليه التابعي المصري أبو الخير مرثد اليزنى (ت ٩٠ هـ) حيث تفقه عليه وروى عنه وكان لا يفارقه[٢].

وتتلمذ علي يديه كثير من المصريين ولقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) من أكثر الصحابة اهتماما بدراسة القرآن والوقوف على تفسيره، كما كان عبد الله ابن عباس (ت ٦٨ هـ) الذي كان يسمى البحر من كثرة علمه[٣]، كما كان يسمى ترجمان القرآن - أيضاً من الذين اهتموا بدراسة القرآن، فقد دخل مصر مرتين فتتلمذ على يديه كثير من المصريين سواء كانت تلمذة مباشرة، أو عن طريق تلميذيه مجاهد وعكرمة. على أن ملامح مدرسة ابن عباس ظهرت جلية واضحة من خلال استمراريتها و امتدادها حتى عصر الحوفي و ما بعد الحوفي فلقد دخل مجاهد تلميذ ابن عباس مصر سنة ٦٢هـ و تتلمذ علي يديه كثير من أهل مصر. كما دخل مصر تلميذ ابن عباس عكرمة (ت ١٠٥هـ) في أوساط القرن الأول أيضاً وروي عن عقبه بن عامر عبد الله بن عمرو، وتتلمذ علي يده القارئ المصري قباث بن رزين (ت ١٥٦هـ) [٤].

من هنا كانت بداية ظهور مدرسة ابن عباس في التفسير في مصر، والتي ظهرت ونشأت علي عاتق القراء الذين دخلوا مصر سواء منهم من أقام إقامة مؤقتة" كابن ملجم

١ - ابن الاثير: اسد الغابة ١٥٢/٥، و السيوطي: حسن المحاضرة ١٨٨/١، د. عبد الله خورشيد: نفسه ١٥٢.
٢ - ابن سعد: الطبقات ٢/٢ / ١٢٠، السمعاني: الاتساب ٥٥٩ ب.
٣ - ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٢٠.
٤ - د- عبد الله خورشيد : القرآن وعلومه في مصر ١٦٩.

وابن عباس " أو من أقام أقامه دائمة "كعقبه ابن عامر، عبد الله بن عمرو وأبي تمامه الجيشاني " و مهما يكن فقد تتلمذ عليهم كثير من المصريين منهم :

١.أبو الخير مرثد المزني " ت ٩٠ هـ": تتلمذ في الحديث و الفقه على عدد من الأساتذة منهم: عقبة بن عامر، و عبد الله ابن عمرو. وكان شديد الإعجاب بأستاذه عقبة فلازمه وأخذ عنه القرآن والقراءة (١).

٢.عبد الرحمن بن جبير "ت ٩٧هـ": تتلمذ أيضاً علي عقبة و عبد الله ابن عمر لقد كان عبد الرحمن بن جبير عالما بالفرائض عالما بالقراءة(٢).

لقد كان التفسير في هذا المرحلة عبارة عن أحاديث و روايات متفرقة تروى في مناسبة السؤال، كأن يسأل أحد عن معني آية من الآيات فيفسرها العلماء، إلى جانب تعليم المصريين القرآن و قراءاته. ومعنى هذا أن مصر بدأت في الأخذ بداية القرن الأول دون أن تظهر شخصيتها، ثم تلى هذا دور التكوين .

و نستطيع تحديد بداية هذا الدور بأول القرن الثاني تقريباً فمنذ بزوغ شمس القرن الثاني بدأت تنشط حركة المد والجزر بين مصر والأقاليم الإسلامية كما بدأت تظهر بعض المجالات المتصلة بالقرآن كالقراءة والنحو والحديث والفقه وغير ذلك.

ففي مجالات القراءات: بدأت مدرسة القراء في التكوين وبدأت تتجه إلى المدينة ولقد تمثلت في بعض التلاميذ المصريين ممن شدوا الرحال إلى المدينة وتتلمذوا مباشرة علي نافع أمثال

١. الليث بن سعد"ت١٧٥هـ":

وهو أبو الحارس الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، ولد بقلقشندة بمصر سنة ٩٤هـ ، وكان محدثاً وفقيهاً بارزاً، أصبح بعده الشافعي أهم فقيه في مصر (٣). حج سنة ١١٣هـ وهو بعد العشرين من عمره، فوجد أمام الناس في القراءة بالمدينة نافع، أخذ القراءة

١ - د- عبد الله خورشيد : القرآن وعلومه ١٦٦.
٢ - د- عبد الله خورشيد : القرآن وعلومه ١٦٧.
٣سزكين : تاريخ التراث العربي ٢٢٥/١.

عرضاً عليه، وأصبح منذ ذلك الحين يقرأ بقراءة أهل المدينة ويحسن القرآن والنحو (١) ومعنى هذا أن الليث كان مجرد متلقي عن نافع القراءة وعن الزهري أو عن تلاميذ الحديث وهذا يدل علي مرحلة التكوين، إذ أن الإنسان في مرحلة التكوين يكون متلقيا فإذا اكتملت أدواته أنتج لنا وهنا تظهر لنا شخصيه .

٢. سقلاب بن شيبة "ت ١٩١هـ"(٢) :

رحل إلى المدينة كما رحل الليث وتلقى عن نافع و أخذ القرآن عرضًا عليه وتتلمذ عليه من المصرين محمد بن عبد الرحمن أبو بكر المقرئ وأبو يعقوب الأزرق ويونس بن عبد الأعلى.

٣. عبد الله بن وهب "ت ١٩٧ "(٣)

رحل إلى المدينة سنة ١٤٨هـ وتتلمذ علي فقيهها الأكبر مالك (ت ١٧٩هـ) وامتدت الإقامة به عشرين عاما اتصل في أثنائها بنافع واخذ القراء عنه.

٤. عثمان بن سعيد ورش " توفي سنة ١٧٩ هـ " (٤) :

هو القاري المصري عثمان بن سعيد بن عبد الله القرشي القيرواني ولد في مصر سنة ١١٠هـ وشد الرحال إلى المدينة وهو في الخامسة والأربعين من عمره أي سنة ١٥٥هـ فقد بدأ متأخراً في حفظ القرآن ودراسته وتعلم النحو، والتقى بنافع وتلقى عنه مباشرة أصول القراءة، وأصبح يعرف باسم ورش المصري، تلقي علي يديه الكثير من المصريين وأصبحت له مدرسة في القراءة باسمه .

ب- أشهب بن عبد العزيز العامري " توفي سنة ٢٠٤هـ "(٥) :

الفقيه المالكي الذي أخذ الفقه عن مالك نفسه، وشهد الشافعي اتصل بنافع وتتلمذ علي يديه في القراءة، وشارك في نشر قراءة نافع في مصر.

---

١ د- عبد الله خورشيد :السابق ١٨٤.
٢- ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ٣٠٨/١
٣- السبكي: قاعدة من الجرح والتعديل ١٢.
٤- أبي الجزري : السابق ٥٠٣/١.
٥- سزكين :تاريخ التراث العربي ١٣٥/٢.

هؤلاء هم الرجال الذين شدوا الرحال من مصر إلى نافع في القرن الثاني تتلمذوا علي يديه، ثم عادوا يقرؤون بها ويقرئون، وعن طريق هؤلاء الرجال انتقلت قراءة المدينة إلى،أو بتعبير أدق سادت المدرسة المدنية للقراءة في مصر"[(١)] :ولما كانت الشخصية المصرية في دور التكوين لم تظهر ملامحها في هذه المرحلة. وكما اتجهت أنظار المصريين في القراءة إلى المدينة اتجهت أيضاً في الفقه إلى المدينة وفقيهها مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) حيث شدّ المصريون إليه الرحال، فتتلمذوا علي يده من أمثال :

١- عثمان ابن الحكم الجذامي "ت١٦٣هـ":

أخذ الفقه عرضاً علي مالك، وكان هو وعبد الرحيم الجمحي أول من ادخلا علم مالك مصر[(٢)].

٢- عبد الرحيم بن خالد بن يزيد الجمحي "ت١٦٣هـ".

شارك مع زميله عثمان الجذامي في إدخال فقه مالك إلى مصر و على يديهما انتشر مذهب مالك، و تتلمذ على يديهما الكثير من فقهاء مصر[(٣)].

٣- عبد الرحمن بن القاسم " ت ١٩١هـ" :

تتلمذ على مالك و انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في مصر في تلك المرحلة كما تتلمذ على يده عدد أيضاً كثيرمن المصريين.

٤- عبد الله بن وهب (ت ١٩٧ هـ) (٤):

كما بيَّنا أن في جانب القراءة أن الشاب المصري عبد الله بن وهب قصد بسفره إلى المدينة أن يتتلمذ على فقيهها الأكبر مالك فهو في إقامته بالمدينة و التي امتدت نحو عشرين عاما و جمع فيها بين تعليم الفقه و القراءة و الحديث و التفسير حيث تتلمذ على

١ - د عبد الله خورشيد: نفسه ١٩٣.
٢ - د. عبد الله خورشيد: نفسه ١٩٥.
٣ - د.عبد الله خورشيد: نفسه ١٩٣.
٤ - سزكين: السابق ١٣٥/٢

فقيهها مالك و علي و قارئها نافع، و على مفسرها عبد الرحمن بن زيد و على أئمة الحديث من تلاميذ بن شهاب الزهري.

٥- أشهب بن عبد العزيز " ت ٢٠٤ هـ. (١).

لعب هذا العالم المصري دورا في مصر كفقيه مالكي و أخذ الفقه عن مالك نفسه ثم عن أساتذة المدنيين و المصريين، و شهد معاصره الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) بأنه لم ير أفقه منه و انتهى إليه رئاسة المذهب المالكي في مصر و في هذه المرحلة كان المصريون في دور التلقين و التكوين في الجانب الفقهي كما كان له الدور الأول في نقل الفقه المالكي إلى مصر.

ثانيا: التفسير:

و كما اتجه المصريون فيما سبق إلى المدينة نجدهم في التفسير قد جمعوا بين مدرسة المدينة متمثلة في عبد الرحمن بن زيد و تلاميذه، ومدرسة مكة متمثلة في عبد الله بن عباس و تلاميذه، و إن كانت ملامح مدرسة ابن عباس قد ظهرت في مصر منذ دخول الإسلام مصر لدخول ابن عباس و تلاميذه (مجاهد و عكرمة) مصر وتتلمذ المصريين علي أيديهم ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا فسنلقي الضوء علي المدرستين لأهميتهما في مجال البحث:

أولا: مدرسة ابن عباس :

قامت مدرسة التفسير بمكة علي يد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فكان يجلس لأصحابه من التابعين يفسر لهم كتاب الله تعالي ويوضح لهم ما أشكل من معاينة وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول ،ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه، وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة:سعيد بن جبير، ومجاهد وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس بن كيسان وعطاء بن أبي رباح(٢).

١ - د . عبد الله خورشيد: نفسه١٩٣

٢ - د. محمد حسين الذهبي: التفسير و المفسرون ١٠١/١.

ولذلك قال ابن تيميه: وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم(١).

ولقد تميز منهج ابن عباس باهتمامه ببيان سبب النزول، فهو حين يعرض للآي يفسرها يضئ المعنى ويوضحه ببيان سبب النزول ويتصل بمعرفة سبب النزول علم الناسخ والمنسوخ وذلك أن أكثر المنسوخ يتقدم علي الناسخ نزولا(٢).

كما لجأ إلى سبب آخر في التفسير وهو اعتماده على الشعر فلقد استخدم ابن عباس هذه الأداة ببراعة حين يفسر، وساعده علي ذلك ذكاء مفرط وحافظه لاقطة واستشهاده بالشعر إنما جاءه من ثقافته الأدبية حتى لنراه على بصر بالحياة الأدبية في عصره، ولقد كانت ثقافة ابن عباس الأدبية هذه المعالجات اللغوية التي عالج بها لغة القرآن فهو يفطن للمعنى المقصود من اللفظة المتضادة(٣).

وهو بهذه الثقافة اللغوية استطاع أن يعرض للفظ الغريب في القرآن كله بالشرح والتفسير(٤).

و إلى جانب ثقافته اللغوية اعتمد علي تفسير القرآن بالقرآن كما استطاع بثقافته اللغوية هذه أن يميز الأصيل من لغة قريش عن غيرها من لغات العرب حين يفسر(٥).

وهكذا كان ابن عباس بمعارفه الوسيعة يهتم بتعرف كل شيء في القرآن حتى يقول: إني لآتي علي آية من كتاب الله تعالي فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما اعلم، ويقول مصورا قدر اقتداره علي التفسير لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب

١ - ابن تميمة :مقدمة في أصول التفسير ٢٣
٢ - د. الجويني : مناهج في التفسير ٠٢٨
٣ - د.الجويني : نفسه ٣٢
٤ - د.الجويني :نفسه ٣٣ .
٥ - د.الجويني :نفسه ٣٤.

الله، وما كان له أن يقول ذلك لولا أخذه من كل ثقافة بطرف وتسخيرها جميعا لخدمة التفسير القرآني (١).

كما قلنا دخل ابن عباس مصر مرتين .وكان لأهلها عنه أحاديث وتتلمذ علي يديه الكثير كما تتلمذ علي يديه تلاميذه مجاهد وعكرمة الكثير من المصريين وهذا الاتجاه ظهر بارزاً في القرن الثاني الهجري فمن تلاميذ مدرسة ابن عباس إلى جانب القراءة:

١-عطاء بن دينار (ت ١٢٦ هـ):

تابعي مصري ثقة، من سكان الحمراء أحد أحياء الفسطاط روى التفسير عن سعيد ابن جبير تلميذ ابن عباس، ولقد وصف القارئ المصري الكبير أحمد ابن صالح (ت ٢٤٨ هـ) عطاء بن دينار بأنه من ثقات المصريين (٢).ولقد روي عنه هذا التفسير العالم المصري الكبير عبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤ هـ).

٢-يزيد بن أبي حبيب ت ١٢٨ هـ :

من أهم رواة مدرسة ابن عباس فقد تتلمذ علي عقبة بن عامر أخذ عنه القرآن والقراءة وروى عن عكرمة التفسير (٣).

٣-قباث بن رزين ت ١٥٦ هـ :

أجمعت المصادر علي أن قباث القارئ المصري تتلمذ علي عكرمة ت ١٠٥ هـ تلميذ ابن عباس وروى عنه التفسير، وقد شارك في وصل ما بين المدرستين المكية والمصرية.

٤-عبد الله بن لهيعة ت ١٧٤ هـ(٤):

روي التفسير عن عطاء بن دينار الذي رواه عن سعيد بن جبير.

استمرت مدرسة ابن عباس بملامحها في النمو والازدهار بما سوف يظهر لنا في المرحلة القادمة.

---

١ - د.الجويني :نفسه ٤٠
٢ - د. عبد الله خورشيد : السابق ٢٨٣.
٣ - د. عبد الله خورشيد : القرآن وعلومه غي مصر ٢٨٣.
٤ - سزكين :السابق ٢/ ١٣٦

ثانيا : مدرسة ابن زيد :

وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني ت ١٨٢ هـ أحد شيوخ مدرسة المدينة في التفسير، ورأسها في مصر إذ تتلمذ عليه مباشرة عبد الله بن وهب، ونقل مدرسته بكل خصائصها المنهجية إلى مصر، ومعنى هذا أن مدرسة ابن زيد قد عرفت طريقها إلى مصر في القرن الثاني الهجري(١).

وأهم ما يميز تلك المدرسة الخصائص الآتية:-

١-تفسير القرآن من سياق النص القرآني :

فلقد تابع والده زيد بن أسلم في ذلك، فإذا كانت الآية تفسرها آية أخري بينها ووضحها وهذا يسمي تفسير القرآن، ففي قوله تعالي: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (٢).

يقول زيد لا يفقهون، يوضح ذلك الآية التالية من السورة نفسها﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا.... ﴾ (٣) قائلا لا يخلص ذلك إليهم(٤).

٢-تفسير القرآن بالرأي:

معتمدًا في ذلك علي الاجتهاد الشخصي لفهم النص القرآني دون الاعتماد كثيراً علي الجانب النقلي وقد بين الطبري ذلك في تفسيره يقول: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال الإسلام(٥).

وكذلك في قولة تعالي ":صراط الذين أنعمت عليهم "قال النبي صلي الله عليه وسلم ومن معه(٦).

---

١ - د أحمد نصيف الجنابي : الدراسات اللغوية والنحوية في مصر ١٠٣.
٢ - سورة الإسراء آية ٤٥.
٣ - سورة الإسراء ٤٦
٤ - د أحمد نصيف الجنابي : السابق ١٠٣
٥ - الطبري : جامع البيان في تأويل أي القرآن ١٧٦/١
٦ - الطبري :نفسه ١٧٩/١.

٣- اهتمامه بمعرفة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ:

علي أن اهتمام ابن زيد بالجوانب اللغوية قليل لم يكن كابن عباس ومدرسته مما يميز مدرسة ابن عباس عن ابن زيد في هذا الجانب. علي أن أهم تلاميذ مدرسة ابن زيد في هذه المرحلة:

عبد الله ابن وهب:

كان عبد الله ابن وهب شديد الرغبة في تحصيل العلوم الدينية: الحديث والفقه والقراءة ، والتفسير، كما سبق أن أوضحنا ذلك في تلمذته علي مالك ونافع و أصحاب ابن شهاب الزهري، فلقد تتلمذ في التفسير علي عبد الرحمن بن زيد وروى عنه التفسير وقد ذكرت المصادر أن له تفسيراً[١]، رواه عنه تلميذه يونس بن عبد الأعلي و حفظه لنا الطبري في تفسيره.

تلك كانت أهم المدارس التي تكونت في تلك المرحلة وارتبطت بالتفسير ونشطت نشاطا ملموساً نحو مكة والمدينة، لكنها كانت مرحلة تجميعية لم تظهر فيها ملامح الشخصية المصرية علي أن تلك الملامح قد بدأت تبشر بها المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة :

مرحلة الاستقلال وبروز الملامح الشخصية :

ارتبطت حركة التفسير في المرحلتين الأولي و الثانية بالقراءة والفقه و الحديث واتجهت الأنظار إلى مكة و المدينة، فتتلمذ أبناء مصر علي علماء مكة و المدينة كما بان لنا ولعل الحركة كانت متصلة بين مصر و الشام أيضا بما نقله القارئ عبد الرحمن بن جبير ت ٩٧ هـ عن زعيم تلك المدرسة أبي الدرداء وعن التابعي الشامي عمرو بن غيلان ابن سلمه الثقفي[٢]، فانه لم تظهر حركة الاتصال بين مصر و العراق حيث نبغ الحسن البصري،عاصم، و الأعمش، وأبو عمرو بن

١ - حاجي خليفة :كشف الظنون ١ .٤٤
٢ - عبد الله خورشيد :السابق ١٣٧

العلاء وحمزة ،الكسائي وذلك لبعد الشقة بين البلدين مما يتيح العذر للمصريين في عدم الذهاب[١] والأخذ عن هذه المدرسة في مرحلة التكوين .

علي حين استمرت الأنظار متجهة إلى المدينة سواء في القراءة أو الفقه أو الحديث فقد سجل المحدث المصري سعيد بن أبي مريم ت ٢٢٤ هـ اهتمام علماء الحديث المصريين الأوائل بحدث المحدث المدني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤ هـ)، كما نشط مذهب الشافعي ت ٢٠٤ هـ إلى جانب مذهب مالك .

كذلك اشتهرت في مصر قراءة ورش وهي و إن كانت قراءة حجازية بوجه عام مدنية بوجه خاص، نافعية بوجه أخص فقد انتهت إلى ورش رئاسة الإقراء بمصر في عام زمانه لم ينازعه فيها منازع، بل أصبح شيخ القراء المحققين وأمام شيخ الأداة المرتلين لم يبلغ ورش هذه المنزلة لمجرد أنه تعمق في النحو وأحكمه حتى أصبح بصيراً بالعربية ماهراً فيها مع معرفته بالتجويد و لأنه أصبح ثقة حجة في القراءة ولا لأنه جيد القراءة حسن الصوت لم يفق ورش القراء المعاصرين له بمصر ويتزعمهم بسبب من ذلك كله فحسب وإنما لأنه يمثل بدء مرحلة تاريخية في تطور القراءة بمصر وهي ظهور المدرسة المصرية في القراءة، ولئن كانت هذه المدرسة قد بدأت تابعة لمدرسة المدينة فإنما قد استطاعت أن تجد نفسها وتستقل بشخصيتها علي يد ذلك القارئ المصري الأصل[٢].

وأهم تلاميذ مدرسة ورش في تلك المرحلة:

١. **داود بن أبي طيبة "ت٢٢٣هـ" (٣):**

كان نحوياً قرأ على ورش وأصبح من جلة أصحابه و وصف بأنه ماهر محقق وروي عنه كثيرون أشهرهم مواس بن سهل، و ابنه عبد الرحمن بن داود ت٧٣هـ.

١ - د.عبد الله خورشيد :نفسه ١٩٤.
٢ - د عبد الله خورشيد: القرآن وعلومه في مصر ٢١٥.
٣ - ابن الجزري: غاية النهاية ٦٢/١.

٢. أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم "ت٢٣١هـ":

تتلمذ علي ورش فأخذ القراءة عرضاً، وجود القرآن عليه وأصبح أستاذاً كبيراً في مدرسة ورش، متصدراً ثقته، تتلمذ عليه الكثيرون منهم: إسماعيل بن عبد الله النحاس (ت٢٨٠هـ)(١)، بكر بن سهل الدمياطي ت٢٨٩هـ(٢).

٣. أحمد بن صالح ت ٢٤٨ هـ (٣).

نبغ في قراءة ورش كما نبغ في الفقه، وأجمع العلماء توثيقه وتتلمذ على يديه كثير من المصريين.

٤. سليمان بن داوود بن حماد الرشديني (ت ٢٥٣ هـ) (٤):

قرأ على ورش عرضا، وأصبح من أجل قراء مصر، وتتلمذ عليه كثير من المصريين.

٥. يونس بن عبد الأعلى " ت ٢٦٤ هـ "

انتهت إليه رئاسة العلم وعلم الإسناد في الكتاب والسنة بمصر، أصبح إماما للمصريين في الحديث والفقه، أخذ قراءة نافع عرضاً عن تلامذته بمصر، وتصدر للإقراء فأقبل التلاميذ عليه من الشرق والغرب يقرؤون عليه مثلما يأخذون عنه سائر العلوم(٥). وتخرج في القراءة عليه عدد غير قليل من كبار التلاميذ يكفي أن يكون من بينهم محمد ابن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ(٦).

٦. عبد الرحمن بن داود "ت ٢٧٣ هـ (٧):

تتلمذ على أبيه وأخذ القراءة عنه عرضا، وأصبح مقرئا مشهورًا في مدرسة ورش واقب

١ - د عبد الله خورشيد:نفسه ٢٢٠.
٢ - د عبد الله خورشيد: القرآن وعلومه في مصر ٢١٥.
٣ - ابن الجرزي: السابق ٦٢/١
٤ - ابن الجزري:نفسه ٣١٣/٢
٥ - ابن خلكان : وفيات ٢٤٧/٦،السبكي :طبقات الشافعي ٢٨/١،ابن الجزري : السابق ١٧٨/١.
٦ - د.عبد الله خورشيد :نفسه ٢٢٢ .
٧ - ابن الجزري :السابق ٣١٨/١

ل عليه التلاميذ من الداخل والخارج وكما اشتهر عبد الرحمن بن داود وأصبح من تلاميذ مدرسة ورش اشتهر تلاميذ آخرون وأصبحوا امتدادا لهذه المدرسة منهم :

٧. **إسماعيل بن عبد الله التجيبي المصري أبو الحسن النحاس "ت ٢٨٠ هـ "(١)**
فلقد أصبح شيخ مصر وقارئها .

٨. **بكر بن سهل الدمياطي " ت ٢٨٩ هـ "(٢):**
احد أئمة مدرسة ورش في القراءات، مدرسة ابن عباس في التفسير، تتلمذ عليه في القراءة محمد بن هلال الأزدي المصري وآخرون، وفي التفسير أبو جعفر النحاس

٩. **أبو بكر عبد الله ابن مالك التجيبي المصري "ت ٣٠٧ هـ "(٣):**
انتقلت إليه مشيخة الإقراء في مصر، أخذ قراءة ورش سماعا عن أبي يعقوب الأزرق وتتلمذ عليه فيها كثيرون من مصر وخارجها(٤).

١٠. **أبو جعفر أحمد ابن عبد الله بن محمد بن هلال الأزدي المصري "ت ٣١٠ هـ:**
من أئمة مدرسة ورش، قرأ على أبيه و على إسماعيل النحاس وسمع الحروف من بكر بن سهل الدمياطي، وتتلمذ عليه كثيرون(٥).

استمرت مدرسة ورش في مصر في القرن الرابع الهجري وأهم تلاميذها في هذا القرن:

١١. **أبو غانم المصري المظفر أحمد بن حمدان ت ٣٣٣ هـ :**
تتلمذ علي ابن هلال(٦).

١ - الذهبي : طبقات القراء ٧٢-٧٣، السيوطي :حسن المحاضرة ٢٠٨
٢ - ابن الجزري : السابق ١/ ١٧٨
٣ - السيوطي : حسن المحاضرة ٢٠٨ ، ابن الجزري : نفسه ٤٤٥/١
٤ - الذهبي :طبقات القراء ٠٧٣
٥ - السيوطي :حسن المحاضرة ٢٠٨
٦ - د. عبد الله خورشيد :السابق ٢٢٤

١٢. أأبو جعفر النحاس ت ٣٣٨ هـ (١):

آلت إلية مدرسة ورش وأصبح من أئمتها،حيث تتلمذ في القراءة على عبد الله بن مالك التجيبي(٢).

١٣. أحمد بن أسامة التجيبي المصري ت ٢٥٦ هـ(٣):

أخذ قراءة ورش عن أبيه عن يونس بن عبد الأعلى و إسماعيل النحاس، الأمر إلى أن أصبح عارفا بقراءة ورش، قيما بها، يتلقاها عنه التلاميذ.

١٤. أبو القاسم المصر ي عبيد ابن السمان ت ٣٨٠ هـ:

أخذ القراءة عن أبيه عن يونس بن عبد الأعلى عن ورش وروي القراءة عنه جماعة من المصريين و غيرهم(٤).

١٥. أبو عدي المصري عبد العزيز بن علي بن محمد بن إسحاق بن الفرج ويعرف بابن الإمام ت٣٨١ هـ:

تتلمذ علي أبي بكر التجيبي و أحمد بن هلال، وقرأ عليه أئمة القراء.

١٦. أبو حفص المصري عمر بن محمد بن عراك ت ٣٨٨ هـ :

قرأ علي عدد من كبار الأساتذة وسمع منهم الحروف(٥).

١٧. أبو بكر الإدفوي المصري ، محمد بن علي بن أحمد ت ٣٨٨ هـ :

آخر أساتذة مدرسة ورش في القرن الرابع ، قرأ علي أبي جعفر النحاس انفرد بالإمامة في قراءة نافع عن ورش ، وقرأ علية الأجلاء(٦).

---

١ - ابن الجزري :السابق ١٦٥/١
٢ - ابن الجزري :نفسه ٣٨/١
٣ - ابن الجزري :نفسه ٤٩٥/١
٤ - ابن الجزري :نفسه ٠٣٩٤/١
٥ - د.عبد الله خورشيد: السابق ٠٢٢٥
٦ - ابن الجزري : السباق ٠١٩٨/٢

أما في التفسير فقد استمرت مدرستا ابن عباس وابن زيد خلال القرنين الثالث والرابع وأهم تلاميذهما في تلك المرحلة:

١-أبو صالح بن عبد الله بن صالح ت ٢٢٣ هـ :

تلميذ الليث بن سعد الفقيه المصري ،روي الطبري تفسيره الذي اعتمد فيه علي ابن عباس من طريق واحد، وقال العلماء في تفسيره أنه يعتمد علي النقل اعتماداً كلياً وأن طريقه إلى ابن عباس على بن أبي طلحه الذي أخذ تفسير ابن عباس عن واحد من ثلاثة من تلاميذه هم سعيد بن جبير ،أو مجاهد ،أو عكرمة(١). ولقد روي تفسيره بكر بن سهل.

٢- عبد الغني بن سعيد ت ٢٢٩ هـ :

مفسر مصري صاحب تفسير اعتمد فيه علي ابن عباس ولقد ضعف العلماء تفسيره ووصفوه بأن فيه نظر(٢).

٣- بكر بن سهل الدمياطي ت ٢٨٩ه :

روي التفسير عن عبد الله بن صالح أحد شيوخه، روي عن عبد الغني بن سعيد وعلي يديه تتلمذ النحاس فقد روي عنه كثيرا من حروفه(٣).

ولما كان النحاس هو التلميذ المباشر لبكر بن سهل الدمياطي فقد آلت إلى النحاس مدرسة ابن عباس في التفسير عن طريق شيخه ،كما آلت إليه مدرسة ورش في القراءة عن طريق شيخه عبد الله بن مالك التجيبي، وقد تتلمذ علي يده كثير من المصريين منهم أبو بكر الإدفوي ت ٣٨٨ هـ شيخ الحوفي .

١ - السيوطي :الإتقان١٨٨/١،د. عبد الله خورشيد :نفسه ٣٨٥
٢ - السيوطي : الإتقان ١٨٨/١،د.عبد الله خورشيد :نفسه ٣٩٦ .
٣ - د. عبد الله خورشيد : نفسه ٤٣٩.

كما استمرت مدرسة ابن زيد ممثله في:

١-يونس بن عبد الأعلى ت ٢٦٤ هـ:

مقرئ مدرسة ورش أخذ التفسير عن شيخه ابن وهب:

تتلمذ علي يديه كثير من المصريين من أشهرهم أبي جعفر النحاس.

وبهذا آلت أيضاً مدرسة ابن زيد إلى النحاس ، وإذا كان النحاس قد جمع في التفسير بين مدرسة ابن عباس ومدرسة ابن زيد، وفي القراءة قراءة ورش فإن ذلك آل إلى تلميذه أبي بكر الإدفوي شيخ الحوفي .

أما في مجال النحو : فلقد بدأ مسايراً لنحو البصرة ، فأخذ ولآد عن الخليل وأخذ الدينوري عن ثعلب والمبرد وقرأ سيبويه ثم اتجه النحويون في مصر بعد ذلك إلى بغداد فصنعوا صنيعها في المزج بين مذهبي الكوفة والبصرة ، ثم تعصبوا للبصريين وحدهم مرة أخري ثم عني المصريين بعد ذلك بالخلاف نفسه بين المذهبين وأخذوا يشغلون أنفسهم بالمقارنة بينها، وحاكوا في ذلك بغداد نفسها مرة أخري، فوجدنا أبا جعفر النحاس يؤلف في مصر كتابة المقنع في الخلاف بين البصريين و الكوفيين ثم إن البصرة والكوفة كانت كل منهما قد اتجهت بعد ذلك إلى العناية بمعاني القرآن وإعرابه ومشكله ونحو ذلك وألف الزجاج في ذلك كتابة إعراب القرآن وعنة أخذ أبو جعفر النحاس وكان رجلا واسع العلم عارفا بأوجه الخلاف بين البصريين والكوفيين كما رأينا فظهرت له بمصر كتب مثل أستاذة الزجاج في جملتها، ولكنها تختلف عن كتب أستاذة في ترتيبها فالنحو فيها جاء ممزوجا بالأدب و القراءة ومن هذه الكتب التي ألفها أبو جعفر النحاس كتبا معاني القرآن و"إعراب القرآن والناسخ و المنسوخ" وذلك إلى جانب كتاب المقنع ،ولم تنس هذه المدرسة أن تعني بمسائل الخلاف ،ولكنها لم تصرف في ذلك إسراف بغداد فتصرفت انصرافا يوشك أن يكون تاما إلى علم الإعراب(١).

١ - د. عبد اللطيف حمزة السابق ٢١٩

ولما كان الشعب المصري يميل بطبعة إلى الدين[1] فلابد أن يهتم النص القرآني و الاهتمام به لا يكون إلا بالعمل بما جاء فيه، و العمل بما جاء فيه لا يتم إلا بكشف معانيه وتفهم ألفاظه ، وتفهم ألفاظه وكشف معانيه لا يتم إلا بمعرفة الأدوات التي تعين على فهم النص القرآني التي من أهمها كما تبين لنا معرفة الجوانب اللغوية والنقلية والفقهية و الكلامية و الأدبية ، ولذلك بدأت تنشط الحركة الفكرية في مصر منذ دخول الإسلام في تلك المجالات وصولا إلى فهم النص القرآني .

غير أن ملامح الشخصية المصرية في التفسير لم تتضح في القرنين الأوليين للهجرة على أنه منذ أوائل القرن الثالث الهجري بدأت حركة التفسير أو قل الوصول إلى المعني يأخذ طابعاً متميزا إلى حد ما غير أن تلك الملامح لم تتضح إلا في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع علي يد أبي جعفر النحاس بما آل إليه من حركه فكرية في مجال القراءات و اللغة والنحو و بيان معاني القرآن .

غير أن تلك الملامح لم تكتمل عند النحاس لاهتمامه ببعض الجوانب كالجوانب اللغوية وبعض النقلية بل اتضحت جلية عند الحوفي عندما نضجت المدرسة المصرية في التفسير و اكتملت أركانها ،تلك الملامح التي أشرنا إليها في بداية حديثنا في هذا الفصل وهى:

١-الميل إلى السهولة و التخفيف وهذا نابع من طبيعة البيئة المصرية التي نشا فيها الحوفي و ترعرع.

٢- التوسيط والاعتدال وهذا أيضا من طبيعة الشعب المصري فهو ليس بالجلف الذي سهرته حياة البادية ولا بالمترف بهره الحياة بل هو بين وهذا من صنيع بيئته التي بين المتناقضين بين سهل الخصب والصحراء الجبلية، بين الحياة القاسية بما فيها من صعوبة وبين حياة الرفاهية بين ماء النيل ووواديه وما إلى ذلك .

٣ - وحدة الفكر الإسلامي وهذا أيضاً نابع من طبيعة الشعب المصري.

كل ذلك إنما هوا نتائج بيئية تختلف طبيعتها عن البيئات المجاورة والتي ساعده الحوفي علي هذا النتاج العلمي في التفسير.

١ - د. عبد اللطيف حمزة : السابق ٠٢٦